مواقف الجزائريين من الحرب البروسية -الفرنسية 1870-1871م
انتفاضة صبايحية عين قطار نموذجا[1]

أ. ورتي جمال
المركز الجامعي سوق أهراس

لفهم انتفاضة صبايحية عين قطار لابد من الإشارة إلى الوضع الذي مرت به فرنسا في ذلك الوقت، وكذلك السياسة الفرنسية المتبعة إزاء الجزائريين بعد عام 1870.

لقد كانت سنة 1870 منعطفا حاسما في تاريخ أوربا و الجزائر، ذلك أن سلسلة الأحداث بعدها قد أخذت بعدا آخر على الصعيدين الأوروبي والمحلي، إذ سقطت بعض القوى الكلاسيكية في أوروبا،وبرزت ألمانيا كقوة سياسية وعسكرية على مسرح أوروبا، وقدر لها أن تتولى زمام الأمور لمدة طويلة(1870-1918م) فبعد اندلاع الحرب البروسية الفرنسية في 19 جويلية 1870 توالت هزائم الجيش الفرنسي في سيدان،وميتز واستسلم الإمبراطور نابليون الثالث في 02 سبتمبر 1870واحتجز كأسير حرب قرب مدينة كاسيل،وقد أدت الهزيمة إلى سقوط الإمبراطورية الثانية وإعلان الجمهورية في باريس في 04 سبتمبر 1870 وفي 12 فيفري 1871اجتمعت الجمعية الوطنية

---

1 لقد استغرقت فترة هذه الأحداث من 21 جانفي إلى غاية 14 فيفري 1871 وقد بدأت برد فعل الصبايحية على قرار ترحيلهم إلى فرنسا للدفاع عنها ، كما أن دور الطريقة الرحمانية فيها لم يكن بارزا على غرار انتفاضة المقراني والشيخ الحداد ، في حين كان دور هذه الطريقة بارزا بشكل كبير في انتفاضة سنة 1852التي شملت معظم انحاء شعبة عنابة العسكرية.

الفرنسية التي انبثقت عن انتخابات اليوم الثامن من الشهر المذكور في مدينة بوردو التي أصبحت مقر الحكومة المؤقتة،وقد أقرت الجمعية في هذا الاجتماع اختيار السياسي الفرنسي تيير (Thiers) رئيسا للدولة وفوضته لعقد الصلح مع ألمانيا التي أعلنت وحدتها في قصر فرساي بتاريخ 18 جانفي 1871،وقد قاد هذا السياسي المفاوضات مع ألمانيا التي انتهت بصلح فرانكفورت في 10 ماي 1871 الذي نص على ما يلي :

-تحتل ألمانيا مقاطعتي الألزاس واللورين وكذلك مدينة ميتز .

-تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها خمسة مليارات فرنك ذهبي خلال خمس سنوات.

-تحتل الجيوش الألمانية فرنسا الشمالية حتى يتم دفع الغرامة المالية.

وفي الجزائر ارتبط الوضع ارتباطا وثيقا بما حدث في فرنسا فقد تميزت الفترة الممتدة من شهر جويلية 1870 إلى غاية شهر مارس 1871 بعدم استقرار نظام الحكم الفرنسي في الجزائر، ففي هذه الفترة القصيرة تعاقب على الحكم في الجزائر أربعة حكام،اثنان من العسكريين وهما الجنرال ديريو (Durrieu)من جويلية إلى أكتوبر1870،والجنرال ولسن إسترازي (Walsin Estrhazy) من أكتوبر إلى نوفمبر 1870،وإثنان من المدنيين وهما شارل دي بوزت (Charles Du Bouzet) من نوفمبر 1870 إلى فيفري 1871،وألكسي لمبارت (Alexis Lambert) من فيفري إلى مارس 1871.[2]

وقد اتخذت حكومة الدفاع الوطني المشكلة حديثا جملة من القرارات فيما يخص الجزائر، وكان أهمها قرار وزير العدل أدولف كريميو في 24 أكتوبر1870 القاضي بمنح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر، ثم قرار السلطات الإدارية الفرنسية في 24 ديسمبر 1870 القاضي بتوسيع الحكم المدني في في

2 Alain Lardillié, *Le peuplement français en Algérie de 1830 à 190 les raisons de son échec*, édition Versailles ,1992 p.103.

مناطق الشمال الجزائري[3]. ولما كان موقف هذه الحكومة ضعيفا خاصة بعد تضييق الجيش البروسي الخناق على العاصمة باريس، أقدمت حكومة الدفاع الوطني على إقحام الصبايحية في الدفاع عن فرنسا بالرغم من وضعها اليائس فقد كانت لا تملك أدوات الحرب من قيادة وجيش وخدمات لوجيستيكية.

وإذا كان هذان السببان مضافا إليهما السبب الاقتصادي هما اللذان أديا إلى انتفاضة المقراني والشيخ الحداد عام 1871، فإن الوضع يختلف عما حدث في منطقة سوق أهراس الواقعة على الحدود الشرقية للجزائر إذ أن تقارير ضباط المكاتب العربية بأرشيف ماوراء البحار بأكس أون بروفانس الخاصة بوضعية الجزائريين المشاركين في هذه الانتفاضة، وكذا مراسلات قياد أعراش أولاد خيار،الحنانشة،ويلان، أولاد ضياء إلى ضابط المكتب العربي بسوق أهراس النقيب هافاس (Havas)، بعض التقارير الخاصة بالشؤون التونسية قبل عام 1881، وكذا الصحافة الفرنسية المحلية التي تحدثت عن هذه الانتفاضة تُعزي سببها بمنطقة سوق أهراس إلى سببين إثنين:

1-قرار السلطات الفرنسية في 24 ديسمبر 1870[4] بتوسيع نطاق الحكم المدني إلى مناطق كانت مشغولة من طرف الجزائريين وخاضعة للحكم العسكري، خاصة مناطق جنوب شرق سوق أهراس حيث توجد زمالة صبايحية عين قطار.

2-قرار السلطات الفرنسية ترحيل الصبايحية إلى فرنسا للدفاع عنها ضد بروسيا.

---

[3] Charles-Robert Agéron, *Les Algériens musulmans et la France (1871-1919)*, Presse universitaires de France1968, p11.

[4] *Les causes de l'insurrection de1871*, *Journal Souk Ahras républicain*, mercredi 19 novembre1928 n° 551.

وقائع الانتفاضة:

لقد لعب جنود الصبايحية دورا رئيسيا في هذه الانتفاضة، ثم انظم إليهم لاحقا بعض وجهاء عرش الحنانشة كالقايد الكبلوتي بن الطاهر بن الرزقي، القايد أحمد بن الدهماني. ذلك أنه وأمام الهزائم المتلاحقة للجيش الفرنسي أمام الجيش البروسي قررت السلطات الفرنسية إشراك هؤلاء المجندين في الدفاع عنها، لأن حكومة الدفاع الوطني المشكلة حديثا كانت في وضع يائس .

وهكذا طلب النقيب بادنكو (Badenco) قائد زمالة صبايحية عين قطار تشكيلة تضم ثلاث وثلاثين جنديا من هؤلاء لإرسالهم إلى فرنسا، وقد رفض الصبايحية ذلك محتجين بأن عقود عملهم تقضي ببقائهم في الجزائر، وإزاء هذا الوضع قرر قائد الفرقة الرائد لورازوفات (Lerazevt) وضع قائمة تتضمن أسماءا انتقاها لترحيلها إلى فرنسا،واعترض الصبايحية على ذلك وغادروا عين قطار إلى المكان المسمى "هنشيرموسى " على بعد أربعة كيلومترات غرب الزمالة وهناك تجمعوا مع عائلاتهم وانظم إليهم عدد من أهالي عرش الحنانشة خاصة عائلة "الرزقي" التي حرضت الفرقة الخامسة للصبايحية المتمركزة بعين قطار بتاورة حاليا وتزعم الكبلوتي بن الطاهر، الذي سبق وأن شغل منصب قايد عرش الحنانشة في الفترة الممتدة بين سنتي (1858 - 1865) هذه الانتفاضة،وتشير بعض الكتابات المتأخرة التي تناولت شخصيته إلى أنه كان قائدا لتشكيلة شاركت في حرب القرم ضد روسيا (1854-1855)، لكن وبسبب السياسة الاستيطانية الفرنسية بالمنطقة ومصادرة الأراضي ثار ضد السلطة الفرنسية[5]، وساعده على ذلك فرع عرش الحنانشة الموجود بمدينة الكاف التونسية بن شنوف حيث قاد عدة غارات على المناطق الحدودية .

---

[5]H'sen Derdour, *Annaba, 25 siècles de la vie quotidienne*, Société nationale d'édition et de diffusion1983 , p405.

تتابع تصعيد انتفاضة الصبايحية واغتالوا قائد الفرقة الرائد لورازوفات مساء يوم الاثنين 23 جانفي 1871 في المكان المسمى" الرميلة "، حيث كانت تجري أشغال شق طريق بإشراف عريف في سلاح الهندسة العسكرية، وفي يوم الأربعاء 25 جانفي 1871 قطعت خطوط البرق التي تربط سوق أهراس بقالمة وعنابة، وأحرقت بعض مزارع المعمرين إذ تشير الدراسات الفرنسية إلى أنه تم تخريب 55 مزرعة ومعمل للقرميد،وقد شكلت لاحقا لجنة وكلت لها دراسة الخسائر التي لحقت بالأوربيين وتقرر تخصيص مبلغ 225797 فرنك و62 سنتيم وزعت على 104 من الأوربيين الذين تضرروا بفعل هذه الانتفاضة، كما قُتل عشرة من الأوروبيين وجرح واحد [6].

ثم حاصر الصبايحية مدينة سوق أهراس وأرغموا القوة الفرنسية التي كانت موجودة بها والمقدرة بـ580 رجلا على الاحتماء داخل المدينة لحين قدوم التعزيزات الفرنسية من عنابة المدعومة من طرف قوم المكاتب العربية، وقد اشتبكت هذه القوات مع الصبايحية في منطقة عين سينور على بعد حوالي 12 كيلومتر غرب مدينة سوق أهراس على جبهة ممتدة على طول 600 متر وذلك يوم 30 جانفي 1871، انسحب على إثرها الكبلوتي بمن معه من الصبايحية إلى التراب التونسي عند عرش أولاد بوغانم، في حين واصلت القوات الفرنسية زحفها وتمكنت من فك الحصار على المدينة،ثم اتجهت جنوبا بشرق إلى عرش أولاد خيار،حيث عادت يوم 14 فيفري 1871 بعد أن ألقت القبض على بعض وجهاء عرش الحنانشة منهم :ابراهيم بن الكبلوتي، الشيخ محمد الصغير وإبنيه،علي بن رابح وابنه، الشيخ صالح بن الدهماني، الشيخ خالد بن الدهماني،القايد أحمد الصالح قايد عرش الحنانشة سابقا وإبنه الطاهر،القايد أحمد بن الدهماني، النوري بن العلمي،النوري بن الرزقي،محمد

[6] Paul Rouquette , « Monographie de la commune mixte de souk ahras », in *Bulletin de la société géographie de l'Algérie et de l'Afrique du Nord*, 1°et 2em trimestre, année 1904, p.268.

بن أحمد، القاطمي بن نصر، أحد أبناء القايد ابراهيم ابن الحاج قايدعرش أولاد خيار السابق، الشيخ صالح بن علي الدريدي [7].

نتائج الانتفاضة:

1 – مصادرة أراضي الأعراش الثائرة:

لقد تعرضت أراضي أعراش أولاد خيار،أولاد ضياء،الحنانشة،الصفية،ويلان إلى المصادرة وصدر قرار بذلك بتاريخ 07 أوت 1871،وكان بعض هذه الأعراش قد خضع لتطبيق قانون سيناتيوس كونسيلت الذي صدر سنة 1863 القاضي بإنشاء الملكية العقارية داخل الأراضي التي يشغلها الجزائريون كأعراش لحنانشة، الصفية،ويلان،وقد قدرت مساحة الأراضي المصادرة بـ:49892 هكتار و 52 آر و30 سنتيار، وقد قدرت المساحة المصادرة من كل عرش على النحو التالي [8] :

اسم العرش	المساحة المصادرة
الحنانشة	34524هـ 52 آر 30 سنتيار
ويلان	5654هـ
أولاد خيار	806 هـ
الصفية	5639 هـ
أولاد ضياء	3269 هـ
المجموع	49892 هـ52 آر 30 سنتيار

[7] Léon Deuron, *Souk Ahras* , Edition Bellenand , 1953, p.163.

[8] CAOM état indiquant le nombre d'hectares qui devraient être placées sous le séquestre d'après la dernière insurrection 1871 à monsieur le gouverneur générale de l'Algérie, 7 août 1871, 36 k30.

وبالإضافة إلى مصادرة الأراضي فرضت على أعراش المنطقة ضريبة حرب قدرت بـ464935فرنك دفع منها في صائفة 1871 مبلغ 347750فرنك و13 سنتيم مقسمة على تسعة دواوير كما يلي:[9]

العرش	الدوار	المبلغ المفروض	المبلغ الذي دُفع
الحنانشة	الزمالة،تيفاش،الزعرورية	360723فرنك	253908 فرنك 23 سنتيم
ويلان	الدايرة،النبايل	36729فرنك	33460فرنك 21 سنتيم
الصفية	العوايد	52173 فرنك	38729فرنك 70 سنتيم
أولاد خيار	أولاد سكياس	4850 فرنك	10223فرنك 54 سنتيم
أولاد ضياء	الكسالنة،أولاد زايد	10460 فرنك	11428فرنك45 سنتيم
المجموع	9 دواوير	464935 فرنك	347750فرنك13 سنتيم

2- محاكمة الثوار:

لقد حُوكم المشاركون في الانتفاضة بمقتضى قرار صدر عن محكمة النقض بالجزائر صدر في 27 سبتمبر 1871 ومثلوا أمام محكمة الجنايات

[9] لقد ذكر المؤرخ شارل روبير آجرون أنه قد تمت مصادرة أملاك سبعة دواوير و أن المبلغ الذي فرض على أعراش المنطقة يقدر بـ: 376000فرنك،و دُفع منها في شهر أفريل 1871 مبلغ 273475 فرنك ينظر: Charles Robert Agéron ,*op.cit.*, p.19

بعنابة حيث انطلقت جلسات المحاكمة يوم 13 جانفي 1872، وكانت الأحكام الصادرة في حقهم قاسية جدا،وتمثلت في الإعدام،النفي إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا و السجن مددا مختلفة[10] .

فقد صدر حكم الإعدام ونفذ في شخصين هما: سعد بن عمر من عرش الحنانشة،والبخاري بن محمد من عرش الحنانشة أيضا.

وصدر الحكم بالنفي إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا على 15شخصا وهم: أحمد الصالح بن رزقي، أحمد بن ابراهيم، عمار بن عبد الله، نصر بن على الشابي، مصطفى بن نصر، أحمد بن نصر، لخضر بن علي الشابي، الطاهر بن محمد الصالح، صالح بن علي بن رابح، يوسف بن بخوش، سي أحمد الصالح بن عمر،عبد الله بن عمار، علي بن عمر، أحمد بن علي بن عمر، عبد الله بن علي الشابي . وقد رحل هؤلاء على متن السفينة لالوار التي انطلقت من ميناء برست بفرنسا يوم 05 جوان 1874 ووصلت إلى كاليدونيا الجديدة يوم 16 أكتوبر 1874 وكانت تقل 39 منفيا توفي منهم 05 خلال الرحلة[11]، وبالرغم من صدور العفو على ثوار بلدية باريس في 11 جويلية 1880، فإن صدور عفو خاص باالثوار الجزائريين الذين شاركوا في انتفاضة صبايحية عين قطار وانتفاضة المقراني والشيخ الحداد قد تأخر إلى ما بعد سنة 1900 فقد استفاد قايد عرش ويلان والحنانشة السابق احمد بن الدهماني من هذا العفو وتوفي أثناء أدائه لفريضة الحج بمكة سنة 1900.

---

[10] CAOM état nominatif des indigènes qui au commencement de l'année 1871, se sont mis ouvertement, en insurrection ont été reconnus comme les plus coupables et les principaux meneurs du mouvement et dont tous les bien soient frappés du séquestre , 36 k30.

[11] الصديق تاوتي ،مأساة هوية منفية ،نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد ، دار الأمة 2000 ،ص 107 .

كما أبعد إلى فرنسا 06 أشخاص وهم : علي بن لعلاوي، صالح بن لحباسي، عثمان بن التوهامي،النوري بن العلمي، الكبلوتي بن الحباسي، أحمد بن الدهماني .

وأبعد ثلاثة أشخاص من عرش ويلان إلى تاقيطونت[12] وهم :صالح بن علي الدريدي، الحاج إبراهيم بن علي الدريدي،عبد الله بن علي .

هذا وقد لعب ضباط المكاتب العربية وقياد الأعراش دورا كبيرا في قمع هذه الانتفاضة، فقد دلت المراسلات التي وجهت إلى ضابط المكتب العربي النقيب هافاس خلال شهري جانفي وفيفري عام 1871 على ذلك فقد تابعوا تحركات الكبلوتي والصبايحية فقد نقل القايد النوي بن القندوز قايد أولاد خيار في رسالة له إلى ضابط المكتب العربي بسوق أهراس بتاريخ 31 جانفي 1871 خبر فرار الكبلوتي وأخيه بوعزيز إلى تونس حيث جاء في رسالته : "... ونخبرك على السباييس راهم هربوا البارح العشية وخلفو بيوتهم مبنية. ونخبرك بيت الكبلوتي وبيت أخيه بوعزيز خلفوهم مبنيين،وراني ركبت في جرتهم حتى خنقة الحمام ولم نلحق بيهم وراني سمعت ناس ويلان قالو لنا البعض منهم جاب البطن والبعض منهم جاب جبل البريشي الذي قبلة البطن،وراني خبرت مشايخ أولاد خيار يسبقوا على الحدادة، وأيضا إني نكون

---

[12] تاقيطونت (Tagitount) بلدية مختلطة مقرها المركز الإستيطاني بيريقو فيل (Perigotville) وهي عين الكبيرة حاليا دائرة سطيف نسبة إلى الجنرال بيريقو (Perigot)قائد فرقة قسنطينة العسكرية سنة 1864أنشئت بموجب مرسوم حكومي صدر في 25 أوت 1880ينظر :

P. Palquier, Notice concernant les communes du département de Constantine Recueil officiel *actes de la préfecture de constatine1927*,p.14, Mostéfa Haddad, *l'émergence de l'Algérie moderne*, imprimerie Guerfi, Batna 2001, tome 2, p.853.

بالقوم نتاعي في الموضع ... ".لقد نجح الكبلوتي ومن معه من الصبايحية في الوصول إلى تراب أولاد بوغانم بالأراضي التونسية وراسل رئيس الوزراء التونسي مصطفى خزندار وطلب منه الحماية والعون له وللصبايحية وأجيب طلبه، وقد وزعتهم السلطات التونسية على أعراش بني رزق،أولاد جوين،أولاد مناع،أولاد عرفة،ولم تكن هذه التحركات خافية على السلطات الفرنسية فقد كاتب المستشار الفرنسي في مدينة الكاف التونسية السلطات الفرنسية في سوق أهراس بتاريخ 18 أفريل 1871 يخبرها بأن" الكبلوتي وعدد من الصبايحية قد التجأوا إلى أولاد بوغانم وراء الحدود التونسية "[14]، كما كلف القنصل الفرنسي العام في تونس بوتيمليان (Boutimilian) بمتابعة الموضوع .

ويبدو أن نشاطه على الأراضي التونسية قد أقلق سلطات تونس التي تعرضت لضغط فرنسي وأرغم الكبلوتي على الرحيل من تونس رفقة بن ناصر بن شهرة في 02 جوان 1875[15] إلى بيروت،وبعد سنوات عاد إلى طرابلس ومن هناك راسل السلطات التونسية طالبا للإستقرار بتونس فأذن له بذلك، لكنه ما إن دخل تونس حتى ألقي عليه القبض ووضع في الكراكة (داموس رطب) حتى وفاته في شهر أفريل سنة 1884[16].

لقد كان نشاط الكبلوتي على الحدود الشرقية للجزائر مبررا للسلطات الفرنسية للتدخل عسكريا في تونس في شهر ماي 1881م وأن ترغم الباي

---

[13] CAOM correspondant du Caïd Noui Belgendouz, 31 janvier1871, 36k31.

[14] CAOM rapport de l'agent consulaire de France au Kef 18 avril 1871,36k32 .

[15] حفناوي بعلي، بعض الملامح لصانعي ملاحم الأرياف في الشرق الجزائري (ثوار فلاقة ،متمردون) مجلة المصادر ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد6، مارس2002،ص351.

[16] محمد السنوسي ،الرحلة الحجازية ،تحقيق علي الشنوفي ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1978، ص 198 .

محمد الصادق على توقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881، ففي 09 ماي 1881 حاولت وزارة الخارجية الفرنسية تبرير تدخلها بالقوة في تونس بالقول "...إن الفوضى في الجانب التونسي مستديمة بالرغم من المساعي التي تبذلها،فهي منذ عشر سنوات مستمرة،وقد زادت منذ أن قاموا سنة 1871بالتمرد بقيادة الكبلوتي وقتلوا ضابط السباييس، إن هؤلاء الثوار يلجؤون لأراضي تونس، وتوجد في منطقة الحدود الجزائرية – التونسية قبائل متمردة ومشاكسة وهم دائما يتقاتلون ويتضاربون، وربما كان الذين تحت حكمنا أكثر انقيادا ومسالمين وأقرب للاستقرار فمنهم يتضررون من تلك الأفعال.."[17].

وبالرغم من أن النتيجة العسكرية لهذه الانتفاضة كانت في صالح الفرنسيين نتيجة تفوقهم العسكري، إلا أنها أكدت مرة أخرى على رفض الشعب الجزائري للإجراءات الفرنسية القاضية بإشراكه في هذه الحرب التي لاناقة له فيها ولاجمل ورفضه أيضا لحركة الاستيطان الأوروبي بمنطقة سوق أهراس، إذ لازالت الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة تروي أحداث هذه الانتفاضة ودور القايد الكبلوتي فيها كما أثبتت للفرنسيين مرة أخرى أن عرش الحنانشة وبالرغم من تولي زعمائه مناصب قياد أعراش في منطقة سوق أهراس مازال متمسكا بخيار مقاومة الاحتلال الفرنسي،كما أكدت من ناحية أخرى روح التضامن التونسي مع سكان مناطق الحدود الشرقية بالسماح للصبايحية والكبلوتي بدخول الأراضي التونسية والإقامة فيها، إذ استقرت العديد من عائلات هؤلاء بتونس وقدر لها أن تلعب دورا كبيرا خلال ثورة التحرير.

---

[17] البشير بن الحاج عثمان الشريف ،أضواء على تاريخ تونس الحديث1881-1924، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،تونس 1981،ص21.